قدسية الماء عند الصابئة

إعداد
م.م. وفاء وسام فخري
تخصص / مقارنة أديان
كلية العلوم الاسلامية / الجامعة العراقية

The Sanctity of Water among the Sabians

Wafaa Wissam Fakhri
Al - Iraqia University

Journal of Islamic Sciences
Vol.5 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026

الملخص باللغة العربية

تبين من خلال هذا البحث أن الماء يحتل مكانة محورية في الديانة المندائية، إذ يعد رمزاً للطهارة والصفاء والتجدد الروحي، كما اظهر البحث ان المندائيين يتسمون بالمحافظة على اسرارهم الدينية، ويؤمنون بوجود كائنات نورانية علوية ويختلفون عن الصابئة الحرانيين في العقيدة والشعائر، إن قدسية الماء لديهم تمثل أحد أهم الاسس التي تقوم عليها الديانة المندائية .

Concluion Summary (English):

This study shows that water occupies a central place in the Mandaean religion , where it symbolizes purity, life and spiritual renewal. lt is essential to most religious rituals, especially baptism , which is performed in flowing water. The research alsob highlights the Mandaeans commitment to religious secrecy,their belief in beings of light , and their distinction from the Harranian Sabians in both belief and practice. Overall the sanctity of water is one of the fundamental pillars of the Mandaean faith.

المقدمة

بسم الله والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد؛

المقدمة: أن بحثي الموسوم (قُدسية الماء عند الصابئة) إذ يُعد من أكثر العناصر قداسة في الديانة الصابئة، إذ يحتل مكانة محورية في معتقداتها وطقوسها الدينية، ولا يقتصر دوره على كونه عنصراً طبيعيا للحياة، بل يُنظر إليه بوصفه رمزاً للطهارة والنقاء والتجدد الروحي، ولذلك ترتبط معظم الشعائر الدينية والاحكام والطقوس الصابئية بالمياه الجارية وليست المياه الراكدة ولا سيما طقس التعميد الذي يُعد من أهم العبادات في هذه الديانة واعتمدتُ في البحثِ إسلوب المنهج الاستقرائي الوصفي وذلك باستقراء النصوص الدينية والمصادر المتعلقة بديانة الصابئة وجمع المادة العلمية الخاصة بقدسية الماء وبيان أثرها في العقيدة عند الصابئة، مما يجعل غرضي من هذا البحث هو دراسة قدسية الماء لديهم لفهم عقيدتهم في الطهارة والعبادة وعلاقة المخلوق بالخالق سبحانه .

وقد قسمت البحث الى مبحثين ثم الخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات والمصادر والفهرس، ثم ملخص بالإنكليزي، ومن الله التوفيق .

المبحث الأول: الديانة الصابئية وفِرقها

المطلب الأول: تعريف الصابئة لغة واصطلاحاً

قبل تعريف الصابئة أرى لزاما علينا توضيح أصل تسمية ديانة الصابئة المندائيون (١): كما هو ملاحظ أن هذه الديانة اسمها مركب من الصابئة والمندائية لهذا سنبدأ ببيان كلتا اللفظتين وكما يلي:

لغة: صبأ (فعل) صبأ يصبأ، صبوءاً، فهو صابئ، صبأ الرجل: أي ترك دينه ودان بدين آخر، صبأ من شيء إلى شيء: انتقل، صبأ: تدين بدين الصابئة صابئ [ص ب أ]، (فاعل من صبأ) (٢) .

اصطلاحاً: عرف العلماء الصابئة كما يلي: -

قيل: أنهم قوم كانوا على عهد إبراهيم الخليل (عليه السلام)، وكانوا يقولون إنا نحتاج إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة طاعته وأوامره، وأحكامه إلى متوسط روحاني وجسماني ومدار مذهبهم التعصب للروحانيات، كما إن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين (٣).

وقيل: أنهم قوم يعبدون النجوم، ويزعمون أنهم على دين نوح (عليه السلام)، الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار، وليس ذلك بصحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة للأنبياء (٤) .

وقيل ايضا: هم قوم عدلوا عن دين النصارى واليهود وعبدوا الملائكة، وصبأ إذا خرج من الدين (٥).

(١) مندائي أو مندايي: كلمة مشتقة من كلمة مدعا أو مندا الآرامية وتعني «العارف» ومنها جاءت كلمة «مندا أدهي»، وهي اسم احد الملائكة الصالحين عند المندائيين ويعتقدون أنه اول من نطق بجملة «اكه هي واكه ماري» ومعناها «يوجد حي يوجد اله» . ينظر: تعاليم دينية لأبناء الصابئة: غضبان رومي الناش: بغداد (١٩٧٢م) ص ٨ .

(٢) ينظر: معجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - ج ١ - دار الامـواج بيروت لبنان - ص٥٣٠.

(٣) ينظر: الملل والنحل - الامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفي (٥٤٨هـ) تعليق ابو عبد الله السعيد لمندوه - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان ج٢ - ص٥.

(٤) ينظر: فتح القدير - محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفي (١٢٥٠ هـ) تحقيق

الدكتور عبد الرحمن عميرة - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة ط٣ ٢٠٠٥ ج١ - ص٢٠٥.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل - ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري متوفي (٥٣٨ ه) دار الفكر دار احياء التراث العربي - تحقيق عبد الرزاق بيروت ج١ - ص٢٨٥ .

وقيل: صبأ: بمعنى مال عن الحق، وإنها كلمة سريانية، ومعناها الغسل والوضوء، وقيل صبأ الرجل: إذا مال وزاغ عن سنن الحق، وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم صابئة (١).

ولعل ارجح الآراء، كون أن كلمة (صابئي) مأخوذة من الفصل «صبأ» الآرامي ومعناه يرتمس، يغتسل يتعمد، أما دليل اصحابه فيمكن توضيحها بما يلي: -

اولا: - لمطابقة معنى الفعل «صبأ» المندائي (٢) الآرامي لما عليه الصابئة حتى اليوم من الارتماس والاغتسال في الماء الجاري .

ثانيا: لورود هذه الكلمة بهذا المعنى في كثير من طقوسهم الدينية فهم يقولون في الاذان «كل انش صابي ابمصبتا شلمي» أي كل من يتعمد بالمعمودية يسلم، كما يقولون في التعميد «صببنا ابمصبتا اذ بهرام ربه» أي تعمدنا بعماد (ابراهيم الكبير – عليه الصلاة والسلام) (٣) .

ثالثا: - لإطلاق بعض المؤرخين والباحثين قديما وحديثا اسم المغتسلة عليهم وهو اسم يترجم عن حالهم وفي الوقت نفسه يطابق معنى الفعل «صبا» الآرامي ويقترب من معنى الفعل «صبع» العبري ويبعد عن الفعل «صبا» العربي «و» صباوث العبري «(٤) .

(١) ينظر: القاموس المحيط للعلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي توفي (٨١٧ ه) مؤسسة الرسالة ط ٦ ١٩٩٨ م - بيروت لبنان - ص٤٥.

(٢) يتكلم الصابئة الحاليون اللغة المندائية وهي لغة سامية قريبة من السريانية، ولكن حروفها غير الحروف السريانية، وكانت مشهورة في قديم الزمان، ولا يوجد بين افراد الصابئية اليوم من يتقن كتابة هذه اللغة الا نفر قليل إلا رجال الدين فهم يتقنونها بجدارة . ينظر: الاديان دراسة تاريخية مقارنة - د.رشدي عليان ود. سعدون الساموك - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بلا - ت - ص١٢١.

(٣) ينظر: الصابئة المندائيون: الليدي دراور: نعيم بدري - غضبان رومي: دار المدى للثقافة والنشر: ط١ (١٩٦٩) ط٢ (٢٠٠٦) / ٨ .

(٤) ينظر: الاديان دراسة تاريخية مقارنة / ١٢٣

المطلب الثاني: فرق الصابئة

الصابئة هو اسم اطلق تاريخيا على اكثر من جماعة، ولذلك يجب التمييز بينها، واشهر من ارتبط بهذا الاسم هم: -

١ - الصابئة المندائيون (الصابئة الحقيقيون اليوم): وهم الجماعة الباقية الى يومنا هذا ويعيشون في العراق وايران، مع وجود جاليات في دول اخرى .

٢ - صابئة حران: وهم جماعة كانت تعيش في مدينة حران (بين شمال سوريا وجنوب تركيا اليوم) وانقرضت تماما في العصور الوسطى وتختلف جذرياُ عن الصابئة المندائيين الباقين في العراق، ومعتقداتهم انهم يعبدون الكواكب والنجوم ويقدمون لها القرابين، واعتبروا الكواكب هي واسطة بين الانسان والاله، ولم يكونوا يتبعون الصابئة المندائيين ولم يعتبروا الماء هو السمة الاساسية للقداسة، لذلك تم تميزهم عن الصابئة المندائيين، وتأثروا كثيرا بالفلسفة اليونانية والديانات البابلية القديمة .

٣ - صابئة البطائح: وهم في الحقيقة المندائيون أنفسهم، وسموا بهذا الاسم لأنهم عاشوا في اهوار جنوب العراق (البطائح) مثل مناطق العمارة والناصرية والبصرة، ومعتقداتهم نفس معتقدات الصابئة المندائيين، ولا يعدون فرقة مستقلة (١) .

(١) ينظر: المصدر السابق: الصابئة المندائيون، غضبان رومي - ص ١٢.

المطلب الثالث: نشأة وديانة الصابئة

الصابئة المندائيون تسميتان لمسمى واحد، الصابئة هي الطائفة الباقية الى اليوم والتي تعد النبي يحيى عليه السلام نبيا لهم ويقدس اصحابها الكواكب والنجوم ويعظمونها جدا، ويعد الاتجاه الى القطي الشمالي والتعميد (١) في المياه الجارية من اهم معالم هذه الديانة وقد تمخض البحث عن منشأ المندائيين ومعتقداتهم عن نظريتين: -

النظرية الأولى:

ترى أنهم من سكان مابين النهرين القدماء وأنهم ورثوا كثيراً البابليين، بل هم الذين تخلفوا ببابل من أسرى بابل، الذين سباهم نبوخذ نصر من بيت المقدس وقد اعتادوا العيش في ارض بابل فآثروا البقاء بها، ولم يرجعوا مع السبي العائد إلى بيت المقدس، فسمعوا أقاويل ومعتقدات

المجوس وتأثروا بها، بحكم تجاورهم مع الفرس فأصبح مذهبهم مزيجاً من المجوسية واليهودية من خلال الجماعات اليهودية التي كانت تسكن ما بين النهرين، وتأثروا بالمسيحية من خلال الاحتكاك بهم فأصبح مذهبهم مزيجاً من المجوسية واليهودية والنصارى، وانتشروا في بلاد الرافدين ومما يؤيد هذه النظرية وجود تشابه والتقاء ما بين الدين الصابئي والبابلي:

١ - كلا الديانتين تعظمان الماء وتضعانه في منزلة عظيمة، فقد كان للبابليين اله اسمه (أيا) اله الماء وهو يجلس في مقصورة من الماء الجاري وكانت تشكل جزء من العقائد البابلية، إذن وعلى وفق هذا إن الدين الصابئي هو امتداد للدين البابلي .

٢ - يعتقد المندائيون إن الإنسان عندما يموت تنتقل روحه إلى العالم الأخر هناك تحاسب النفس وتوزن الإعمال فإذا كانت الحسنات كثيرة تصعد إلى عالم الأنوار أما إذا كانت السيئات أكثر فأنها تذهب إلى (المطراثي) وهي رحلة تمر بها النفس بسبع محطات (عوالم الحساب) والحالة نفسها عند السومريين.

٣ - هناك تقليداً دينياً مندائياً، يتضمن إطلاق اسم ديني على الصابئي بالإضافة إلى اسمه المعلن، ويستعمل هذا الاسم في طقس التعميد والمناسبات كالزواج والوفاة إن هذا التقليد هو تقليد سومري إذ كان يطلق أسماء على رجال الدين لأنهم يعتقدون بأن ممارسة السحر يسري على الاسم الديني فقط، وليس على الاسم المعلن (٢).

(١) التعميد: من اهم معالم هذه الديانة وهو ركن اساسي ومقدس عند الصابئة ويكون عن طريق الغسل والانغماس بالماء الجاري غير المنقطع ينظر: المندائيون الصابئة - محمد الجزائري ط ١ - ٢٠٠٠ – المعهد الملكي للدراسات الدينية – عمان الاردن ص ٩٣.

ينظر: المصدر السابق: ص ٩٣.

٤ - إن الديانتين يقدسان الشمس لكونها قوة للخير .

٥ - يلتقي الصابئة مع البابليين بلباس التعميد اللباس الأبيض الذي كان يرتديه الكهنة في بابل .

٦ - يحرم المندائيون حلق اللحى وشعر الرأس وكذلك البابليون، ومع إن عامة الصابئة لا يتقيدون بهذا التحريم اليوم، وعلى وفق هذه النظرية فأنهم تأثروا مباشرة بأفكار الجماعات البابلية التي تجاورهم، ومع وجود هذا التشابه، هم ذاتهم من بقايا البابليين وطوروا معتقداتهم، بتفاعلهم مع الجماعات اليهودية، التي كانت تجاورهم أيضا، وقد ذكر أنهم من بقايا الجماعات اليهودية

التي كانت تقطن جنوب العراق (١).

النظرية الثانية:

أن منشأهم كان في منطقة البحر الميت في فلسطين، أو في شرقي الأردن ممن كان يمارس التعميد هناك، ومما يدعم هذا الرأي الوثائق التاريخية القديمة التي عثر عليها في البحر الميت وذلك في بداية خمسينيات القرن العشرين، وقيل أن أسلاف الصابئين الأوائل انحدروا من مصر، وعلى هذا فهل الصابئة مصريون ؟ قد هاجروا من مصر إلى فلسطين ثم إلى حران ؟ وهل إدريس عليه السلام هو مؤسس ديانتهم ؟ الاحتمال غير وارد، لأنهم ينسبون كتابهم المقدس إلى آدم عليه السلام . وهذا الرأي ضعيف وذلك لأن كثيراً من العلماء والمؤرخين أشاروا إلى إن المعتقدات الصابئية برزت في بابل أولاً، ويورد بعضهم أسماء يقول عنها أنهم ملوك بابليون اعتقدوا الدين الصابئي (٢).

وان وجودهم سابق للإسلام حكماً وان أقدم وأوثق مصدر عربي وردت فيه تسمية الصابئة بمدلولها الديني، هو القرآن الكريم، إذ أدرج اسمهم مع أهل الكتاب ومع عامة المؤمنين و ذلك في القرآن، قال تعالى(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَرىٰ وَالصَّبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣) .

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّبِئُونَ وَالنَّصَرىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِوَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَاهُم يَحْزَنُونَ) (٤).

(١) ينظر: المندائيون الصابئة - محمد الجزائري - ص ٩٣

(٢) ينظر: الأديان: د. محمد جواد محمد الطريحي، د.سلامة حسين الموسوي / دار الكتب العراقية ط ١ - ٢٠١٤م - ص٩١ - ٩٤

(٣) سورة البقرة الآية ٦٢

(٤) سورة المائدة الآية ٦٩

وقال العقاد: إن الصابئة على ملة إبراهيم الخليل (عليه السلام) وان المحقق من أمرهم إنهم يرجعون إلى أصل قديم، لأن استقلالهم باللغة الدينية والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث، وقال لا يعرف دين من الأديان تخلوا عقيدة الصابئة من مشابهة له في إحدى الشعائر (١) والصابئة في عهد النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) فئة على دين خاص، كاليهود والنصارى، وكل من خرج ومال من دين إلى دين يسمى صابئي ولهذا كانت العرب تقول لمن اسلم: قد

صبأ، فالصابئون قد خرجوا من دين أهل الكتاب وقد قيل إن الله بعث إدريس عليه السلام إلى الناس يدعوهم إلى عبادة الله ويحثهم على البعث والحساب والميزان وعرف إتباع إدريس بالصابئة وعرف الكتاب الذي جاءهم به (صحف آدم)، والذي يعرف بالمندائي: كنزا ربا (٢) لذا يرى الصابئة المندائيون أن ديانتهم أقدم الديانات وإنها ترجع إلى آدم عليه السلام وهم يتبعون تعاليمه إلا إن مرور زمن طويل وظهور ديانات ومذاهب أساءت إلى الدين القديم دين آدم عليه السلام، وبزعمهم بعث الله نبياً ليخلص الدين من شوائبه ويعود بالبشرية إلى دين آدم الأول، وهذا النبي هو يحيى عليه السلام (٣).

وجاء في الشهرستاني انه بين كيفية نشأة هذه الديانة فقال: فالصابئة كانت تقول: إن العالم روحاني والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون (٤) المطهرون، جوهراً وفعلاً وحالة .

وكذلك يقول: أما الجوهر: فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغيرات الزمانية قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح ولا يعصون الله، ونحن نتقرب إليهم ونتوكل عليهم فهم أربابنا وآلهتنا وشفعاؤنا عند الله، وهو رب الأرباب (٥) .

(١) ينظر: المندائيون الصابئة - محمد الجزائري - ص٩٠ - ٩١

(٢) كنز ربا: أي الكنز العظيم ويسمى ايضا» سدرة ربة « كتاب مقدس عند الصابئة وهو اطول واعظم النصوص المقدسة المندائية وقد ألف في القرن الاول الميلادي: ينظر: دراسة تاريخية مقارنة - د.رشدي عليان: ص١٩٧.

(٣) ينظر: لمحات عن أديان العالم - صادق عبد علي الركابي - مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع ط ١ مكتبة مدبولي - القاهرة ٢٠٠٧م - ص ٣٦٥

(٤) روحاني: بالضم من الروح، وروحاني بالفتح من الروح ومذهب الروحاني أن للعالم صانع وفاطر وحكيم مقدس عن سمات الحدثان ينظر: الملل والنحل للشهرستاني ج٢ - ص ٦٤ .

(٥) ينظر: الأديان د. محمد الطريحي ود. سلامة الموسوي ص٨٣ - ٨٤

المطلب الرابع: أقوال المفسرين في الصابئة

(إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَرَىٰ وَالصَّٰبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (١)

إن الاختلاف الكبير عند الفقهاء والمفسرين في حقيقة دين الصابئة نجده كذلك عند علماء الملل والنحل، وهذا ما يؤكد صعوبة البحث في حقيقة هذا الدين، وذلك للغموض الذي يلف تاريخ هذه الطائفة ومعتقداتها، فالاحتمالات واردة والافتراضات قائمة، منهم من يوثق هذه الافتراضات والاحتمالات بأدلة ومنهم من لا يمتلك الأدلة سوى الافتراض والاحتمال، ولم يتوصل احد إلى حقيقتهم، وهم يدعون بأنهم أقدم الديانات السماوية التي وجدت على الكرة الأرضية (٢).

فقد قيل: الصابئون قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة، صبأ إذا خرج من الدين (٣) .

وجاء ايضا: الصابئ هو التارك لدينه الذي شرع له إلى دين غيره، وأما المشار إليهم في قوله تعالى (وَالصَّٰبِئِينَ) فقال السُّدي: هم فرقة من أهل الكتاب، وقال ابن مجاهد: هم قوم لادين لهم، ليسوا بيهود ولا نصارى وقال ابن نجيح: هم قوم يقولون: لا اله إلا الله، وليس لهم عمل ولا كتاب كانوا بالموصل، وقال الحسن بن أبي الحسن وقتادة هم قوم يعبدون الملائكة، ويصلون إلى القبلة ويصلون الخمس ويقرأون الزبور وقيل أنهم فرقة تعبد الكواكب وفرقة تعبد الأصنام، وكل من هاتين الفرقتين أصناف شتى مختلفون في الاعتقادات، وجاء في تفسير ابن كثير بشأن الصابئين: فقد اختلف فيهم قال الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين، وفي تفسير الشوكاني: قوم يعبدون النجوم، وقيل هم من جنس النصارى وليس ذلك صحيح بل هم فرقة معروفة لا ترجع إلى ملة من الملل المنتسبة للأنبياء كما ذكرنا سابقا (٤).

(١) سورة البقرة الايه ٦٢

(٢) ينظر: الأديان د. محمد الطريحي ود. سلامة الموسوي ص٨٣

(٣) ينظر: الكشاف - الزمخشري ج١ ص ٢٨٥

(٤) ينظر: موجز الأديان في القرآن د. عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة ط ١ ١٩٩٨ م ص٩٣ - ٩٥.

يقول الإمام الرازي فيهم: الصابئة قوم يقولون إن مدير هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة، فهم عبدة الكواكب، وقد تطورت عقيدتهم من عبادة الكواكب والنجوم مباشرة إلى عبادة الهياكل التي أقاموها فكانوا يختلفون إليها للعبادة عند الغروب تلك الكواكب والنجوم (١).

أما العلامة ابن خلدون فقال عنهم: إن الصابئة هم القائلون بالهياكل والأرباب السماوية والأصنام الأرضية وأفكار النبوات، وهم أصناف بينهم وبين الحنفاء مناظرات، وحروب مهلكة، والحنفاء يقولون إننا نحتاج في المعرفة والطاعة إلى متوسط من جنس البشر تكون درجته في الطهارة والعصمة، والتأييد والحكمة فوق الروحانيات، يماثلنا من حيث البشرية وبما يميزنا من حيث الروحانية فيلتقي الوحي بطرق الروحانية، ويرقى إلى نوع الإنسان بطرق بشرية (٢).

أما المفسر المعاصر جمال الدين القاسمي فيقول: الصابئين جمع صابئ، والصابئة نوعان: صابئة حنفاء موحدون وهم الذين أثنى الله عليهم بهذه الآية مع الاعتقاد بدور للكواكب كوسائط بين الخالق والمخلوقات، ومنهم من قال بتقديس الكواكب وكانت له عقائد فاسدة وصابئة مشركون .

وإذا تتبعنا المصطلحات نجد العرب قد استخدموا كلمة (حنيف) في مقابل (صابئ).

وعند ابن منظور في لسان العرب: الحنيف: المسلم الذي يتحنف عن الأديان، أي يميل إلى الحق، وقيل: هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقيل: هو المخلص، وقيل هو من اسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء فهو حنيف، ويبدو أن الحنفية كانت نقيض الصبوة عند العرب بهذا تحدث الشهرستاني حيث قال: إن الصبوة في مقابل الحنيفية، وفي اللغة: صبأ الرجل إذا مال وزاغ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء

قيل: الصابئة ان مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، كما إن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين، والصابئة تدعي أن مذهبها هو الاكتساب، والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة، فدعوة الصابئة إلى الاكتساب، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة (٣) .

(١) ينظر: الأديان محمد الطريحي و سلامة الموسوي ص٨٣

(٢) ينظر: المصدر السابق: ص ٨٤ - ٨٥

(٣) ينظر: قاموس الأديان (الصابئة – الزرادشتية – اليزيدية) د. اسعد السحمراني - دار النفائس للنشر ط ٢ ١٩٩٩م - ص ١٢ - ١٣

وقال سيد قطب: الصابئون: الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام، فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها، فاهتدوا إلى التوحيد، وقالوا إنهم يتعبدون على الحنفية الأولى ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون

أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون: إنهم صبأوا - أي مالوا عن دين آبائهم - كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة، وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير، والآية تقرر أن من آمن بالله واليوم الآخر من هؤلاء جميعاً وعمل صالح، فأن لهم أجرهم عند ربهم، ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون، فالعبرة بحقيقة العقيدة لا بعصبية جنس أو قوم .. وذلك طبعاً قبل البعثة المحمدية، وأما بعدها فقد تحدد شكل الإيمان الأخير (١) .

وقاله إسحاق بن راهويه: لابأس بذبائح الصابئين، لأنهم طائفة من أهل كتاب، وقال هشيم عن مطرف عن الحسن: إنهم كالمجوس، وقال إنهم قوم يعبدون الملائكة، وقال ابن جرير عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحسن قال إن الصابئين يصلون إلى القبلة، ويصلون الخمس قال فأراد أن يضع عنهم الجزية، قال فخُبر بعد إنهم يعبدون الملائكة، وقال أبو جعفر الرازي بلغني ان الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور، ويصلون للقبلة .

وحكى القرطبي عن مجاهد عن الحسن: إنهم قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس ولا تؤكل ذبائحهم ولا تنكح نسائهم، واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب بمعنى إن الله جعلها قبلة للعبادة والدعاء أو بمعنى إن الله فوض تدبير أمر هذا العالم إليها، وقول مجاهد ومتابعيه: إنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولادين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه، أي إنهم خرجوا عن سائر أديان أهل الأرض (٢).

وما نقلناه عن المفسرين يدل دلالة واضحة على عدم المعرفة بعقيدتهم وبديانتهم وان ما قيل بشأنهم هو من باب التخمين والتقدير، أو بناء على ما ظهر من عبادتهم وأحوالهم، والظاهر لنا أنهم ليسوا من أهل الكتاب، ولا فرقة من أهل الكتاب ولو أن سلفنا الصالح عرفوا حقيقة ديانتهم، ومعتقدهم لما حصل مثل هذا الخلاف بشأنهم (٣)

(١) ينظر: في ظلال القرآن - سيد قطب المتوفي ١٩٦٦م - دار الشروق الطبعة الشرعية الحادية عشر ١٩٨٥م - ج١ - ص ٧٥

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفي ٧٧٤ هـ - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان ١٩٩٦م مجلد الاول - ص١٠٤

(٣) ينظر: موجز الأديان: عبد الكريم زيدان ص ٩٥.

ولعل أهم أسباب الخلط في بيان أصلهم ومعتقداتهم هو، أن بعض الأسباب ما يكون عائداً لهم، وبذلك يكونوا هم من تسبب في إيجاده، ومنها ما نشأ عن الأساليب التي اتبعها المؤرخون والباحثون القدامى في دراسة معتقداتهم الدينية، ومنها ما نشأ عن الخصومات الدينية التي تعرضوا إليها، والمعروف لدى الصابئة إنهم قوم شديدو الانطواء على أنفسهم وكانوا لا يسمحون باطلاع غيرهم على كتبهم الدينية فهناك ضبابية تلف حقيقة العقيدة عند الصابئة، ويبدو أنهم مازالوا حتى هذه الأيام يؤمنون بما يشوش عقيدة التوحيد عندهم هذه الحالة زادت من تكهنات وتخيلات من كتب عنهم، وحرمتهم فرص التقييم الواقعي لأفكارهم (١) .

القول الراجح في الصابئين: لا يمكن اعتبارهم من أهل كتاب أو فرقة من فرق أهل الكتاب وذلك بدلالة القرآن والسنة النبوية، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ) (٢).

فبدلالة القرآن: قال ابن جرير معناه هذا الكتاب، أي القرآن أنزلناه ليقطع عذركم لئلا تقولوا انزل على طائفتين من قبلنا، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم اليهود والنصارى، وكذا قال مجاهد والسُدي وقتادة مِن إن المقصود بالطائفتين اللتين انزل عليهما الكتاب، هما اليهود والنصارى، وان هاتين الطائفتين هما أهل الكتاب في عرفهم والمعروف عندهم، فلا يدخل في مفهوم أهل الكتاب غيرهما، من صابئين ومجوس ونحوهما، ولذلك قال جميع المفسرين إن المقصود بالطائفتين اللتين انزل عليهما كتاب من الله، هم اليهود والنصارى، وقال الإمام ابن عطية: الطائفتان هما اليهود والنصارى بإجماع من المتأولين.

السنة النبوية: لم يرد في السنة النبوية ما يدل على إن الصابئين من أهل الكتاب أو نسنّ فيهم سنة أهل الكتاب كما ورد بشأن المجوس، ولو كانوا مثل المجوس لورد لهم ذكر في السنة أما باعتبارهم أنهم من أهل الكتاب وأما باعتبارهم ملحقين بأهل الكتاب ببعض الأحكام كما ورد بشأن المجوس (٢) .

(١) ينظر: الأديان د. محمد الطريحي، د. سلامة الموسوي ص٨٥ - ٨٦

(٢) سورة الانعام الآية ١٥٥ - ١٥٦

(٣)ينظر: موجز الأديان عبد الكريم زيدان ص٩٥ - ٩٦

المطلب الخامس: إحصائيات الطائفة الصابئة

أشارت الإحصائيات إلى تذبذب كبير في عدد المندائيين، ويعود ذلك للتقديرات غير الدقيقة من جهة، ومن جهة أخرى إلى الاضطهادات، والأوبئة التي أثرت في عددهم تأثيراً خطيراً فعدوا عام (١٦٥٢) ب (١٢٥٠٠٠) نسمة، وقد نقص عددهم عام (١٨٧٧) إلى أربعة آلاف نسمة، بينما ورد عددهم في النشرة الرسمية العثمانية لعام (١٨٩٨ - ١٨٩٩ م) بالبصرة والعمارة والناصرية إلى (٣٠٠٠) نسمة وعددهم بالعراق (١٩٢٧) (١٠٠٠٠) نسمة وذكرهم الدليل العراقي الرسمي لعام (١٩٣٦) بحوالي أربعين ألف نسمة، بينما ذكرهم عبد الرزاق الحسني اعتماداً على إحصاء (١٩٤٧) بحوالي (٦٣٦٨) نسمة، وبلغوا عام (١٩٥٧) بحسب الإحصاء الرسمي ب (١١٨٢٥) نسمة، وبلغوا عام (١٩٦٨) حسب الإحصاء الرسمي ب (١٤٥٧٢) نسمة، كما يبلغ عددهم في العراق في تسعينيات القرن الماضي (٦٠) ألفاً هاجر معظمهم في العقدين الآخرين ولاسيّما بعد الحرب الأخيرة عام (٢٠٠٣) ويسكن معظمهم وسط وجنوب العراق على ضفاف الانهار، ويقدر عدد من بقي منهم بأقل من عشرة آلاف نسمة (١)، ويبلغ عدد الصابئة المندائيين في العالم حوالي مائة ألف نسمة (٢) .

(١) ينظر: الأديان د. محمد الطريحي ود. سلامة الموسوي ص١١٧

(٢) ينظر: لمحات عن أديان العالم د.صادق الركابي ص٣٧٩

المبحث الثاني: أهم المعتقدات في الطائفة الصابئية

المطلب الأول: معتقدات الصابئة المندائية

لاشك في وجود صلة ما، وتشابه أو اشتراك في بعض العقائد والشعائر بين صابئة حران (الحرانيين) وبين صابئة بطائح العراق (المندائيين)، كما إن هناك اختلافاً، ولعل أهم التشابه بينهما هو تعظيم الكواكب - لكن مع فارق جوهري فبينما نجد الحرانيين يعبدون الكواكب مباشرة لتشخص الله فيها عندهم ويبنون لها الهياكل ويجعلونها مدبرات هذا العالم نجد المندائيين يحترمونها لكونها مقراً للملائكة، فالتعظيم والاحترام هو للملائكة لا للكواكب ذاتها، فالصابئون يوجهون دعائهم للأرواح الخيرة فقط وليس لتلك التي تخص عالم الظلام والحق إن شعائر المندائيين لم تخل من تقديس الكواكب كالاتجاه إلى نجم القطب في العبادة، وقد أشار العقاد إلى حقيقة في غاية الأهمية، وهو يتحدث عن عقيدتهم بأنها (ملتقى التوحيد القديم والوثنية

القديمة) (١).

أما أهم عقائدهم فهي: -

١ - عقيدتهم في الله

تعتقد الصابئة في الله (جل جلاله) انه علة الكائنات والوجود، حي بنفسه أزلي ابدي، لا تدركه الأبصار، ولا تناله الحواس، منزه عن (الهيولا) (٢) وانه لم يلد ولم يولد ملك الأنوار السامي، رب الحق ذو الحول الشامل، الذي لا شبيه له ولا شريك بسلطانه.

٢ - عقيدتهم في الروحانيات

مع إيمانهم بوحدانية الله يعتقد المندائيون بأن الملائكة مخلوقون لله، وإنهم منزهون عن المادة، قد فطروا على الطهارة وجبلوا على التقديس والطاعة ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار ويعتقد المندائيون بالأرواح الخبيثة موكوله بعذاب الناس، ومنها ما هو مغري البشر لاستدراجهم للمعصية (٣).

(١) ينظر: الأديان محمد الطريحي سلامة الموسوي ص١٠١

(٢) الهيولا: لفظ يوناني بمعنى الأصل، والمادة في الاصطلاح هو جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال والانفصال ينظر: الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني - الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ – دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع – المجلد الاول ص ٧١٧

(٣) ينظر: الأديان محمد الطريحي، سلامة الموسوي ص ١٠٢ - ١٠

٣ - عقيدتهم في النبوة: -

النبوة أن يزود الله أنساناً بالدين والمعرفة وينزل صحفاً، أو كتاباً أو يوصي إليه بشرع ويبعثه ليعلم الناس ويرشدهم إلى الشرع والدين وان طريقة التوسل إلى حضرة القدس يعني الله (جل جلاله) تكون بعمل أشخاصاً في مقابلة الهياكل العلوية وأوجبوا على من يتقرب بها إلى ما يقابلها من العلويات تختماً ولباساً وتبخراً ودعاء وتعزيماً وعلى هيئات وأحوال وأوقات (١).

٤ - عقيدتهم في الموت والحياة الآخرة ومبدأ الثواب والعقاب: -

فعندما يموت الإنسان يستقبله ملكان ويحاسبانه على عمله في دنياه، وتمر روحه في برج الميزان حيث توازن أعمالها، فإذا كانت أعماله صالحة تذهب روحه إلى الجنة أو عالم الأنوار، أما إذا كانت أعماله سيئة تذهب روحه إلى دار عذاب مؤقت تتلقى الروح عذاباً لمدة محدودة

وبعدها تطهرها وتنتقل إلى عالم الأنوار لتمكث فيه إلى الأبد (٢).

٥ - عبادة المندائيين (الشعائر والطقوس): -

الصابئة المندائيون من أكثر الأمم تعبداً، وأشدها تديناً ومحافظة على طقوسهم وشعائرهم وعاداتهم وتقاليدهم، لذلك لايستبعد أن تكون صلاتهم وصيامهم، أول كيفية عرفها البشر للصلاة والصوم - كما يقولون - وتشمل: - التعميد، والصلاة، والصوم (٣) .

يسمى المكان الذي يتعبد فيه الصابئة ويمارسون طقوسهم الدينية فيه (المندى) (٤) على ضفاف الأنهر الجارية ليسهل التطهر والتعميد فيه (٥) .

ويستحق أن نتوقف معه قليلاً كعنوان هام من موضوعات الشعائر الدينية عند الصابئة كونه موضوع بحثي فأحببت أن ابحث عن سبب قدسية الماء لديهم وما يتضمن من أحكام المياه .

(١) ينظر: المصدر السابق الأديان محمد الطريحي سلامة الموسوي: ص١٠٤

(٢) ينظر: لمحات عن أديان العالم، صادق ألركابي، ص٣٦٨

(٣) ينظر: الأديان، محمد الطريحي، سلامة الموسوي، ص١٠٧

(٤) المندى: هو معبد الصابئة وفيه كتبهم المقدسة وإجراء المراسيم الدينية ويجري فيه تعميد رجال الدين يقام على الضفاف اليمنى من الانهر الجارية ولا يجوز له دخول النساء: ينظر: الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب مانع بن حماد الجهني مج ١ ص ٧١٧ و المندائيون الصابئة محمد الجزائري ص ١٨٣

(٥) ينظر: المندائيون الصابئة، محمد الجزائري، ص ٩٣

المطلب الثاني: قدسية الماء عند الصابئة

الماء والطهارة أساس في شرع الصابئة، لذلك يدخل في طقوسهم وشعائرهم التعميد، والذي يعد من ابرز معالم الديانة المندائية، ولا يكون إلا في الماء الجاري الحي، ولا تتم الطقوس إلا بالأرتماس في الماء الحي سواء أكان الوقت صيفاً أو شتاءً (١) وهذا ما دفع الصابئة كي يقيموا في بطائح العراق بسبب توافر المياه فيها .

أما في المصادر الصابئية أصل الكلمة (صبأ) ومشتقاتها من المفردات المندائية الآرامية إحدى لهجات المجموعة العربية (السامية) التي كتبت بها المخطوطات الصابئية، حيث هي لغة الصابئة الدينية، وكلمة (صبا) غير مهموزة ومشتقاتها تعني (التعميد) أو(التطهير بالماء)

والتطهير شعيرة من الشعائر الأساس للصابئة المندائيين، وصبا: أي غمس في الماء من اجل إن يتطهر ويدخل في دين الصابئة المندائيين تعمد.

ويقول الصابئي عندما يتطهر: (صبيت بمصبوتا بهرام ربا) (٢)، بمعنى (اصطبغت بصبغة إبراهيم الرباني) إنها الكلمة العربية التي تناضر (صبا) الآرامية المندائية لفظاً، ومعنى كما هو واضح أعلاه، هي كلمة (صبغ) إذ إن هذه الكلمة تحمل المعنى المادي وهو الارتماس أو الغمس بالماء، كما إنها تحمل في الوقت ذاته معنى دينياً هو: التحول أو الدخول في دين جديد، والصابئة يطلقون على الماء اسم (يردنا) (٣) ويكون التعميد باتباع طقوس خاصة بذكر اسم الله الحي ومازالوا يمارسونها حتى يومنا هذا، وهي شبيه بشعيرة التعميد او الصباغة التي ورد ذكرها في الكتابات المسيحية حيث كان يوحنا يعمد بماء الاردن (٤) .

(١) ينظر: الأديان محمد الطريحي و سلامة الموسوي ص١٠٧

(٢) مصبوتا بهرام ربا: هي من اهم الطقوس في الدين الصابئ الخاصة بالتطهير وتعد من الشعائر المباركة ورمز للتجدد الروحي ينظر: المندائية الصابئة محمد الجزائري ص ٩٣

(٣) يردنا: إشارة إلى التعميد الأصيل وهو أول ماء استعملوه عند تعميدهم الأول وممارستهم تلك الشعائر هو ماء الأردن ينظر: المصدر السابق ص ٩٩

(٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٩٩ - ١٠٠

المطلب الثالث: أنواع التعميد

١ - عماد الولادة: ويسمى التعميد الكامل، فكل مولود جديد لابد من تعميده ويكون أيام الآحاد، وعندها يضيفون إلى اسمه الأصلي اسماً مناسباً للبيئة الاجتماعية التي يقيم فيها، و يعمد المولود عادة بعد (٤٥) يوماً ليصبح طاهراً من دنس الولادة فيدخل هذا الوليد في الماء الجاري إلى ركبتيه مع الاتجاه إلى جهة النجم القطب ويوضع في يده خاتم اخضر من ألآس، وما يقال عند هذه العمادة هو ما يلي (أعمدك باسم الثلاثة: الله و منديابي ويحيى (يوحنا) أعمدك معمودية بهرام العظيم ابن روربي لتكون معموديتك حارسة لك، ورافعة إياك إلى العلاء) (١) .

٢ - عماد الزوجين: ويكون قبل إجراء مراسيم المهر، وبعد أسبوع العرس أيضاً ومن يتخطى ذلك يعتبر خارجاً من الدين، ويستحب أن يكون العماد الأول للزواج يوم أحد ل، أن حسب معتقدهم، يوم حمد ميمون من الناحية الفلكية وعندهم لا يقوم الكاهن بهذا العماد، إلا بعد

التأكد من إن العروس ليست قريبة من ميعاد الحيض، ويتم التعميد بثلاث دفعات في الماء، مع قراءة من كتاب الفلستا (٢) وبلباس ابيض خاص، ثم يشربان من قنينة مُلئت بماء أُخذ من النهر ويدهن جبينها بدهن السمسم، ويكون ذلك لكل واحد منهما على حدة (٣).

٣ - عماد الجماعة: وهو فرض على كل صابئي، وميقاته في كل عيد (بنجه)(٤) يجوز التعميد في أيام البنجه ليلاً أو نهاراً، على حين أن التعميد في سائر المواسم لا يجوز إلا نهاراً، وفي أيام الآحاد فقط (٥).

(١) ينظر: قاموس الأديان اسعد السحمراني ص ٢٧

(٢) الفلستا: كتاب عقد الزواج ويتعلق بالاحتفالات والنكاح الشرعي والخطبة ينظر: الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب مانع بن حماد الجهني مج ١ ص٧١٥

(٣) ينظر: المصدر السابق ص ٧١٨

(٤) بنجه: هو عيد الخليقة في الديانة الصابئة من كل سنة كبيسة لمدة خمسة أيام وتكون في العشر الأوائل من شهر نيسان ويشمل أبناء الطائفة كافة رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً وذلك بالارتماس في الماء الجاري ثلاث دفعات قبل تناول الطعام من كل يوم من الأيام الخمسة ينظر: المندائية الصابئة محمد الجزائري ص ١٨٧

(٥) ينظر: الاديان محمد الطريحي وسلامة الموسوي ص ١٠٨

٤ - عماد الأعياد: ويكون في أيام الأعياد، العيد الكبير هو رأس السنة عندهم وفق حساباتهم على أساس إن السنة (٣٦٠) يوماً، والشهر ثلاثون يوماً، وهي نفسها حسابات الفرس، والعيد الصغير ويعتقدون انه اليوم الذي جمدت فيه الأرض بعد أن كانت من الغاز، وميقاته بعد (١٢٨) يوما من العيد الكبير، ومما هو جدير بالملاحظة أن ننوه هنا إلى إن التعميد عند الصابئة يكون بالماء الحي أي الماء الجاري في نهر ولا يصح التعميد أو الطهارة عندهم بالماء المنقطع أي المنقول بأوعية أو الموجود في خزانات، وقد أجاز لهم رجال دينهم مؤخراً الاغتسال في الحمامات وأجازوا لهم كذلك العيون النابعة لتحقيق الطهارة المفروضة على الذكر والأنثى بلا تمييز، وتكون في الماء الجاري (١).

٥ - عماد المحتضر: عندما يحتضر الصابئ يجب أن يؤخذ قبل زهوق روحه إلى الماء الجاري، ليتم تعميده ومن أقوالهم الشائعة: من مات دون عماد فهو نجس ويحرم لمسه، وفي أثناء العماد يغسلونه متجهاً إلى نجم القطب الشمالي، هذا وان العماد المندائي، يُمارس بثلاث

حالات هي: -

أ - العماد العام: من مستلزماته الماء الجاري، الذي عوض عنه فيما بعد بأحواض الماء، التي تقام داخل المندى مع إكليل ريحان أو الآس، وفي ذلك إشارة إلى الحياة والطيب، يقول المندي: (رسمي لا يكون بالنار، ولا بالزيت، ولا بالمسح، رسمي بالماء العظيم ماء الله الحي).

ب - العماد الشخصي: ويسمى(طماشه) (٢) وهو مجرد اغتسال عن النجاسات كالجنابة وغيرها .

ج - الوضوء (الرشامة) (٣): يمارس ثلاث مرات، تغسل خلاله أعضاء الجسم الخارجية، قبل التوجه إلى الصلاة (٤) .

(١) ينظر: قاموس الأديان، اسعد السحمراني: ص٢٨

(٢) طماشه: هو الغسل والتطهير بالماء الجاري للتحلل من الخطيئة ينظر: المندائية الصابئة محمد الجزائري ص ١٨٦

(٣) الرشامة: يعني الرسم بالماء ويعني الاثر او العلامة او الطابع المميز وتعتبر علامة الصابئي لأن رشمه او طابعه هو الاغتسال بالماء وليس بالنار ولا بالزيت، ينظر: المصدر السابق ص ١٨٤

(٤) ينظر: الأديان، محمد الطريحي، سلامة الموسوي، ص١٠٨ - ١٠٩

ومن هنا يأتي الاغتسال احد أهم الطقوس عند الصابئة، وهو يعني التعميد أو بلغتهم مصبوتا، فأن مغزى التعميد وتقديس الماء عند الصابئة هو:

تطهير الجسد، لأن الجسد هو ((وعاء النفس)) باعتقاد المندائي، والنفس هي نسمة من الذات الإلهية، لذا الماء هو الوسيلة الأساس، منذ الأزل للخليقة والتطهير، تجد صداها كطقس ديني عند الصابئة المندائيين، فهم يحللون استعمال الماء الحي الجاري، وهو أول المستلزمات ثم وجود أكليل ريحان أو آس رمز للحياة والطيب، ويحرمون استعمال المياه الآسنة، من اجل ذلك وجدنا سكناهم لصق شواطئ الأنهار، لتسهيل إقامة هذه الشعيرة الدينية، على وفق الطقوس القديمة، وان يتم طقس التعميد بالملابس الرسمية (رستا) (١) وبعد ارتداء الملابس الدينية، رمزا للخلاص من أثقال الدنيا وأوزارها، مباشرة النزول إلى الماء والغطس فيه، ثم الارتسام بالماء مع ذكر اسم الله، وشرب شيء من ذلك الماء، فالختم و وضع اليد اليمنى على رأس المتعمد، واخيراً المصافحة وأداء اليمين، ويقوم بالطقوس الدينية الكاهن، ويفتتح التعميد بدعاء، ثم يتجه إلى

النهر باسطاً ذراعيه ومباركاً الماء، فينزل إلى النهر ويدعوه الشخص المتعمد، ليردد بعده: (بسم الحي أنا أتيت بقوته تعالى وبإرادتي الماء الذي يمنحني القوة بشكل ثابت أنهيت به إلى التعميد لأتقبل الطهارة والرسم مرتدياً كسوة النور) وينزل المتعمد خلف الكاهن، فيغطس ثلاثاً، ثم يستمر بالدعاء ويغمسه في الماء ثلاثاً، ثم يضع الكاهن يده اليمنى على رأس المتعمد، ليختمه فيقرأ الدعاء ذاته وأخيراً يصافح الأب القائم على التعميد الشخص الذي تم عماده مصافحة العهد وهو يقول: (الحق يأسوك ويقومك اطلب تجد وقل تسمع اسم الله العليم مذكور عليك)، وهكذا أصبح الشخص مندائياً، لكن للزمن قواعده الجديدة وتطور وسائل العيش، وتيسير الماء النظيف دفع العديد من المندائيين، بالاكتفاء بأداء هذه الشعيرة داخل البيوت الدينية المعدة لهذا الغرض (٢).

(١) رستا: هي رداء ابيض يرمز إلى كساء الطهارة والنور الذي يرتديه الروح الطاهر وعلى جميع إفراد الطائفة عامة وروحانيين اقتناء هذا الكساء المصنوع من القطن الأبيض أو الكتان ينظر: المندائيون الصابئة محمد الجزائري ص ١٧٩

(٢) ينظر: المصدر السابق ص ١٨١ - ١٨٢

الخاتمة

وبعد أن عشنا خلال هذا البحث المتواضع في موضوع قدسية الماء عند الصابئة استطيع أن احدد أهم ما توصلت إليه و يمكن حصرها في النقاط التالية:

١ - اختلف الباحثون في أصل تسميتهم بالصابئة المندائية .

٢ - المندائية لا يُشهرون طقوسهم فهم ديانة اقرب إلى السرية .

٣ - التزامهم الصمت ولغتهم المندائية في ممارسة طقوسهم التي لا يفهمها الآخرون كانت سبباً في غموض عقيدتهم لدى الغير، وكذلك لا يسمحون للغير بالاطلاع على كتبهم الدينية .

٤ - مدار مذهبهم التعصب للروحانيات.

٥ - عدم الاعتراف بالأنبياء من البشر، وذلك لأنهم لا يعتقدون بصلاحية الإنسان لحمل الرسالة السماوية، وإنما ذلك من اختصاص الملائكة والكائنات النورانية .

٦ - اظهرت الدراسة ان معظم الشعائر والطقوس الصابئية، وعلى رأسها التعميد (المصبتة) هي من ابرز معالم الديانة الصابئية والتي تعتمد على المياه الجارية فقط، ولا يُعتد بالمياه الراكدة في اداء الشعائر.

٧ - الاعتقاد بوجود متوسطات نورانية بين الله والبشر.

٨ - هناك اختلاف بين الصابئة الحرانين والمندائيين في العقيدة والطقوس .

٩ - قبلتهم تكون إلى اتجاه نجم القطب الشمالي في العبادة .

١٠ - لايؤذنون للصلاة بصوت مرتفع، وإنما يؤذنون بصوت خفي .

١١ - هناك من الأسرار الدينية، لا يحق لأحد من أبناء الطائفة الاطلاع عليها، وهي بذلك تكون وقفاً وحصراً لكهنتهم ورجال الدين .

١٢ - تعد الصابئة من الطوائف الغنوصية، إستمدوا تعاليمهم من مصادر متعددة منها ما هو يهودية ومنها المسيحية ومنها الإسلام، والصابئة تعتبر طائفة غامضة تلجأ في كتاباتها إلى لغة الرمز والتأويل.

وختاماً نسأل الله تعالى أن يثبتنا على العقيدة السليمة عقيدة التوحيد وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن انه سميع مجيب وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم النتائج والتوصيات:

اولا: لقد ورد اسم الصابئة في القرآن الكريم ثلاث مرات، ومن معاني الآيات الثلاث إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء وصابئة مشركون، أما الصابئة الحنفاء فهم بمنزلة من كان متبعا لشريعة التوراة والانجيل، قبل النسخ والتحريف من اليهود والنصارى وهؤلاء حمدهم الله واثنى عليهم، وهم المرشحون لدخول الاسلام بإذن الله تعالى أما الصابئة المشركون فهم قوم يعبدون الملائكة، ويقرؤون الزبور ويصلون فهم يعبدون الروحانيات العلوية .

ثانياً: اظهرت الدراسة إن البيئة النهرية، كان لها أثر واضح وكبير في تكوين الطقوس الدينية الصابئية واستمرارها عبر العصور، لما تمثله من اهمية دينية إضافة الى اهميتها البيئية والانسانية .

ثالثا: أن فهم جانب مهم من العقيدة والعبادات الصابئية، ويُبرز خصوصية هذه الديانة مقارنة بغيرها.

رابعا: تشجيع الدراسات الاكاديمية المتخصصة في الديانة الصابئية ومعتقداتها من خلال الاعتماد على مصادرها الاصلية .

خامساً: الاهتمام بترجمة النصوص الصابئية ودراستها علمياً، لإبراز مكانة الماء في عقيدتهم بصورة دقيقة .

سادساً: تعزيز الحوار العلمي بين الاديان بما يسهم في فهم الخصوصيات الدينية واحترام التنوع الثقافي والديني .

المصادر

بعد القرآن الكريم.

١. لمحات عن أديان العالم صادق عبد علي الركابي - مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الأولى مكتبة مدبولى - القاهرة ٢٠٠٧م.

٢. المندائيون الصابئة محمد الجزائري - الطبعة الأولى ٢٠٠٠م - المعهد الملكي للدراسات الدينية - عمان - الأردن.

٣. من قاموس الأديان (الصابئة - الزرادشتية - اليزيدية) الدكتور اسعد السحمراني - دار النفائس للنشر الطبعة الثانية ١٩٩٩م.

٤. تعاليم دينية لإبناء الصابئة - غضبان رومي الناش - بغداد ١٩٧٢م.

٥. دراسة تاريخية مقارنة د. رشدي عليان د. سعدون الساموك - وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بلا - ت.

٦. الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة اشراف وتخطيط ومراجعة د. مانع بن حماد الجهني - الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ - دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع - المجلد الاول.

٧. الصابئة المندائيون: الليدي دراور: نعيم بدري - غضبان رومي: دار المدى للثقافة والنشر: ط١ (١٩٦٩) ط٢ (٢٠٠٦).

٨. الأديان (دراسة ابستمولوجية مقارنة في المحتوى والمنهج) الأستاذ الدكتور محمد جواد محمد سعيد الطريحي - الدكتورة سلامة حسين كاظم الموسوي - دار الكتب العراقية - الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤ م.

٩. تفسير القرآن العظيم للأمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ - المجلد الأول - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان ١٣٨٨هـ - ١٩٩٦م.

١٠. فتح القدير محمد بن علي بن محمد الشوكاني المتوفى ١٢٥٠هـ تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة - الجزء الأول - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ

- ٢٠٠٥م.

١١. في ظلال القرآن سيد قطب المتوفى ١٩٦٦م - المجلد الأول - دار الشروق الطبعة الشرعية الحادية عشرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٢. القاموس المحيط العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى ق٨١٧هـ مؤسسة الرسالة - الطبعة السادسة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م بيروت - لبنان.

الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى ٥٣٨هـ دار الفكر دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق عبد الرزاق المهدي.

١٣. معجم الوسيط - مجمع اللغة العربية - الجزء الأول - دار الأمواج - بيروت - لبنان.

١٤. الملل والنحل الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفى ٥٤٨هـ تعليق أبو عبد الله السعيد لمندوه - الجزء الثاني - مؤسسة الكتب الثقافية بيروت - لبنان.

١٥. موجز الأديان في القرآن الدكتور عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.